

أنا وأنت على الطريق الطلاق

"تزوجني وأساء معاملتي ودفعني لطلب الطلاق كي أتنازل عن حقوقي. وكان قد طلق زوجة له قبلي. كما أنه تزوج بعدي....". بهذه الكلمات يا سيدتي اختصرت سمية م قصتها على مدى عام ونصف من الزواج قبل أن تتضمن لقائمة تضم عشرات الآلاف من المطلقات في العالم العربي... هذا ما جاء في تقرير تحت عنوان: تزايد نسب الطلاق بالعالم العربي يهدد الاستقرار الاجتماعي. وتشير إحصاءات رسمية إلى أن نسب الطلاق في بعض الدول العربية لاسيما في الخليج العربي قد وصلت نسباً مرعبة بحسب متخصصين، مما يهدد الاستقرار الاجتماعي في هذه الدول. وتتساءل سمية التي تعمل مدرّسة لتقول: هل الدين والقوانين تسمح لمثل هذا الرجل وغيره بالمتاجرة بأعراض الناس وتحويل الفتيات إلى منبذات في المجتمع، أو فتيات من الدرجة الثالثة أو الرابعة في قائمة طالبات الزواج؟ وتشير الأرقام إلى أن نسبة الطلاق في السعودية وصلت إلى ٢١% وفي الإمارات العربية إلى ٤٤% وقطر ٣٠% والكويت ٣٢% والمغرب ٤٦% وفي مصر تسجل ٢٤٠ حالة طلاق يوميا أي بمعدل مطلقة كل ست دقائق. لكن الحال هي أقل سوءا في البحرين وليبيا والأردن.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور السرطاوي أحد أبرز خبراء قوانين الأحوال الشخصية في العالم العربي إن المشكلة الأساس في ظاهرة الطلاق هو الجهل الثقافي بخطورة الحكم الشرعي للطلاق. وللأسف يتم تدريس الطلاق للطلاب على أنه جائز ومباح وأن حكمه لدى بعض الفقهاء مكروه. وهذا ما يجعل حكم الطلاق كأحكام الأكل والشرب لدى البعض. وحمل الدكتور السرطاوي على المناهج التربوية التي لم تتمكن من إزالة اللبس بين مفهومي الحرية الفردية والمسؤولية الاجتماعية وأن مفهوم الحرية الفردية باتخاذ قرار الزواج والطلاق طغى على مفهوم المسؤولية الاجتماعية التي تحمي مؤسسة الزواج والأسرة. كما حمل على بعض القضاة الشرعيين وتعاملهم مع قضايا الطلاق على أنها قضايا روتينية وعلى قانون الأحوال الشخصية الذي لا يرى فيه القضاة وجود تعسف في تطليق الرجل لزوجته. ودعا إلى وضع ضوابط تحمي مؤسسة الزواج وتمنع تسهيل الطلاق.

سيدتي ، عندما تخطئ الزوجة مثلا في حق زوجها بكلمة تُلظفت بها سهواً أو عمداً، يفوه الزوج بكلمة طالق ويصبح الأمر مقضيا وصحيحا وتطلق المرأة وتذهب إلى بيت أهلها. ولا تحصل هذه الأمور مرة بل مرتين وأكثر وتبقى كلمة (أنت طالق) هي التي تحدد مصير أسرة بكاملها ومصير أولاد غدوا يعيشون من دون رعاية الأم. على الأقل هذا ما عرضته التمثيليات التقليدية التي بينت حالة أهل الحارة وواقع عائلاتها على القنوات الفضائية. ولما أبديت تعجبي من طريقة معاملة المرأة آنذاك وفي أوائل القرن

العشرين، أخبرني قريبي بأنّ هذه التقاليد لا تزال سائرة المفعول في بعض القرى والأرياف في بلادنا العربية حتى الآن. وليس للمرأة دور في اتخاذ القرارات حتى في أمر يخصها مثلا. ويبقى الرجل منفردا في كل الشؤون والشجون. والآن ونحن في القرن الحادي والعشرين هل ترانا قد تغيّرنا عن الماضي؟ أم أن كلمة طالق لا تزال عالقة على لسان الكثيرين من الأزواج؟

ترى ماذا يعلمنا الكتاب المقدس من خلال آياته المنيرة؟ آياته وتعاليمه التي أوحى بها الله تعالى بروحه القدس لرجال الأتقياء؟ يعلمنا أن الزواج هو عهد مقدس بين الزوجين. لماذا؟ لأن الله تعالى هو مؤسسه ومنشؤه. ألم يدوّن لنا في سفر التكوين ويقول: وأخذ الرب الإله آدم ووضعها في جنة عدن ليعملها ويحفظها... وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده. فأصنع له معينا نظيره.... فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. هذا ما دوّنه لنا الكتاب المقدس يا سيدتي المرأة ويا سيدي الرجل. لقد أعلمنا الله وقال بأن الزواج هو مؤسسة من صنعه هو، وهي مؤسسة جديدة يعيش ضمنها الزوجان في وحدة ومحبة وانسجام ليصبحا جسدا واحدا هو هما الاثنان. ومن أجل المحافظة على هذه المؤسسة يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته. وبما أنهما أصبحا جسدا واحدا فمعناه عليهما أن يحافظا عليه معا، ويعتنيا به معا، ليظل واحدا. أما الإنسان الذي يعصى أمر الله سبحانه وتعالى فهو الذي يتمرد على تعليمه ويقوم بعمل مشيئته ومشية جسده هو. وهكذا وعندما يلفظ كلمة طالق لزوجته فإنما هو يقوم بهدم هذا الجسد، وبنقض العهد مع الطرف الآخر. ويظن الزوج كأن الأمر لا يصيبه هو بالضرر. لكن على العكس فهو إنما يقوم بنفسه بهدم الوحدة والمحبة والرباط المقدس.

أما يسوع المسيح المخلص العظيم وعندما سؤل عن موضوع الطلاق فقال بأنه من البدء لم يكن هكذا. لكنّ موسى سمح لهم بالطلاق بسبب قساوة قلب الشعب. وبيّن المخلص لهم أنه عندما يقسي الإنسان قلبه فهو إنّما يتمرد على الله تعالى، الله المحبة، الله القدوس، و الله الرحمة. الله الذي ومن فرط محبته للإنسان تنازل إليه عن طريق المخلص المسيح لكي يمنح الإنسان فرصة أخرى للخلاص من الخطية ومظاهرها وعقابها المميت فيعود من قساوة قلبه ويتوب عن تمرده وعصيانه ويسود الله القدوس من جديد على حياته. والآن صديقي ، صديقتي ، إن الطلاق لا يجلب سوى الخراب والدمار لكل من يتبعه وهو مكروه ومبغض من قبل الله الخالق. وعندما تخضع صديقي وصديقتي لله القدير ولتعليمه المقدس حسبما جاء في الكتاب المقدس تتبعان الوصية التي يقول فيها: كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم من يجب امرأته يحب نفسه. ولا تعود كلمة طالق سهلة اللفظ في كل صغيرة وكبيرة. وتعملان معا على الحفاظ على البيت الزوجي بكل ما لديكما من قوة. والرب معكما.